

حماية المخطوط و فهرسته

أ.قاسم فتيحة، مسؤولة مكتبة كلية الحقوق و العلوم السياسية

جامعة زيان عاشور الجلفة

مقدمة:

لم يرد لفظ مخطوط في المعاجم العربية و خاصة القديمة منها ، إذ يبدو أن هذا المسمى لم يكن معروفا متداولاً قبل عصر الطباعة لقول أحمد شوقي بتبين " هو لفظ حديث في العربية ويبدو أنه ظهر مع ظهور الكتاب المطبوع ، أما قبل ذلك فكان يذكر مصطلح تأليف و مؤلفات ، كتب الأصول ، الكتب الأساسية ، أمهات الكتب ، لأنها كانت تحوي أساسيات العلم "

codex أما المصطلح بغير العربية تبين أن هناك لفظان أحدهما قديم و يطلق عليه

لفظ لاتيني فسرهُ قاموس كولير بأنه الكتابة الاثرية القديمة اي على اللوح . أما manuscript اللفظ الثاني و الاحدث و الاكثر شيوعاً فهو ما يسمى بالانجليزية

فتعني الكتاب او الوثيقة المكتوبة باليد أو المكتوبة بالآلة الراقنة¹

تعريف المخطوطات :

يقصد بالمخطوطات الكتب و الرسائل المنسوخة يدوياً سواء كانت رسالة أو عهداً أو نقشا

2)

ويرى مصطفى مصطفى السيد يوسف أن المخطوط هو كل ماكتب بخط اليد سواء كان رسالة أو وثيقة أو عهداً أو كتاباً أو نقشا على حجر أو رسماً على قماش و سواء أكان باللغة العربية أو غير العربية .

إلا أنه ينبغي التنبيه إلى أنه حين التحدث عن المخطوط يقصد به في الغالب العام ، ما جاء على شكل كتاب , كتيب قديم كتب بخط اليد، وهنا يمكن القول أن المخطوطة هي أي وثيقة مكتوبة بخط اليد سواء كتبت على أوراق البردي أو الرقوق أو الورق أو المواد الصلبة و سواء كانت كتابة حروف أو نقوش أو الخدوش بالسكين أو الحروف المسمارية³

1-عبد العزيز بن محمد المسفر ، المخطوط العربي و شيء من قضاياه ، الرياض ،دار المريخ، د.ت ، ص 68

2-نادية بنت عبد العزيز اليحيا ،خصائص الاستشهادات المرجعية في الوثائق و المخطوطات ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، 2002 ، ص46

3-عبد العزيز بن محمد المسفر ، نفس المرجع ، ص69

التقادم الزمني و المخطوط :

إن المخطوط كغيره من الاشياء محاط بالعناصر الاساسية من كربون و الهدرجين و الاكسجين ، و بما أن المخطوط هو الآخر يتكون من مواد كربوهيدراتية (سيليلولوز) متمثلة في الورق و البردي ، و مواد بروتينية كالجلود و الرقوق و التي تتعرض للعوامل البيئية كالتلوث ، الحرارة ، الرطوبة ، الاشعاعات ، جراثيم الفطريات ، و بويضات الحشرات ، كل هذه العوامل تترك بصماتها على المخطوط مما يعرضه الى التآكل و التلف من جفاف الاوراق و تكسرها و تلف حروفها و إنتشار الثقوب و التمزيق و تلون الورق نتيجة الاشعة و الضوء و الجفاف و التصاق الصفحات ببعضها ومن هذه العوامل المؤثرة في تلف المخطوط نذكر :

1-عوامل كيميائية :

1-1- التلوث الهوائي : و المقصود به تلوث البيئة بصورة غير مرغوب فيها تغير جزئيا أو كليا بفعل النشاط الإنساني و الذي أحدث تغيرات كيميائية و حيوية في مكونات الغلاف الجوي كله ، إضافة إلى ملوثات لم يكن للإنسان سبب في حدوثها فكثير منها موجود في البيئة الطبيعية و التي حدثت بفعل العمليات الجيولوجية كالبراكين و الزلازل .

و قد بدأت فكرة التلوث عند الإنسان منذ بداية الثورة الصناعية و إستخدام الوقود و الآلات و إنتشار الحشرات و المبيدات و الحروب و إنتشار الاسلحة الذرية ، هذه الملوثات التي يسهل إنتقالها مع تيارات الهواء ، و يمكن القول أن المخطوطات هي أشد الماديات تأثرا بهذه الملوثات ومن أهم هذه الملوثات نذكر :

غاز ثاني أوكسيد الكربون و هو أكثر الغازات ضررا للأوراق إذ تمتصه صفحات المخطوط و فب وجود الرطوبة المرتفعة يتحد الغاز مع بخار الماء و يكون حامض الكبريت الذي يتحول الى حمض الكبريتيك المدمر للأوراق و الجلود و بما أن هذا هو المصدر الاساسي للحموضة فهناك أحماض منها

: الاحبار الحديدية ، الليجنين الموجود في الاوراق وهو حمض يتفاعل مع الضوء ، مواد تبيض لب الورق و أغلبها منتجة للكلور الذري ، الذي تتحول بقاياه الى حمض الإيدروكلوريك الضار .

1-2- كبريتيد الهيدروجين : و هو إل خطورة من ثاني أكسيد الكبريت و ينتج عن النشاط الصناعي و الفيزيولوجي للكائنات الحية و أيضا لنتيجة لتحلل المطاط الموجود كعازل في النوافذ والأرفف و الأرضيات و تفاعله مع زخرفات المخطوطات عداالذهب .

1-3- الكلور و الفلور : ولهما تأثير ضار على الاوراق و الاحبار ، إذ أثناء الاحتراق ينتشر بسرعة ، و هذه الاحماض كلها ضارة للمخطوط .

1-4- الغبار و الاتربة : هي الحبيبات التي يقل قطرها عن 76 ميكرون يحملها الهواء لتلتصق بالصفحات و الجلود المخطوطة حاملة معها جراثيم الفطريات و بيضات الحشرات و التي تنمو بالمخطوطات عند توفر الاحرارة و الرطوبة بل و يمتد الضرر حتي الى الكتابة.

بالإضافة ان هناك غاز الأوزون و الأذخنة الموجودة في الجو التي تشكل خطرا على المخطوط.

حفظ وصيانة المخطوطات :

إن الحفظ و الصيانة جانبان متكاملان لحماية المخطوط من التآكل و التدهور الذي يتعرض له بمرورالزمن و هذا التكامل يظهر في الحفظ الذي يعني تهيئة الظروف المحيطة بالمخطوط سواءا أثناء تواجده بالمخزن أو على ارفف المكتبة او حت بين أيدي الباحثين مما يضمن سلامته ويمنع إنتقال العدوى من مخطوط مصاب الى مخطوط غير مصاب .

في حين الصيان تعني معالجة و إزالة الإصابات التي حدثت فعلا لبعض المخطوطات ، كجفاف أوراقها أو تبقعها أو تحجرها وجفافها و إصابتها بالحموضة و التلوث الغازي أو الحشرات و الفطريات كل هذه الإصابات لها طرق خاصة لإزالة آثارها عن المخطوط .

فالحفظ هو الخطوة الأولى لحماية أي مخطوط جديد أو قديم بما تعنيه من توفير ظروف جيدة تؤمن البقاء للمخطوط أطول مدة ممكنة إذ الأجدر بنا أن نبدأ في حماية المخطوط من :

أ-عوامل التلوث الجوي :

و التي تشمل الغازات الكبريتية و الغير كبريتية و الاتربة إذ يجب حمايته من كل العوامل المحيطة به و ذلك ب :

- النظافة الدورية للمخازن بإستعمال مكنات جذب ذرات الغبار و المواد الضارة خاصة الارضيات .

- إمرار الهواء إلى مخازن المخطوطات من خلال مرشحات كربونية تحتوي على الفحم النشط أو إمرار الهواء من خلال مكنات مائية تحتوي على محاليل للتخلص التام من ثاني أكسيد الكبريت .

- منع التدخين داخل المخازن و قاعات القراءة و الإطلاع .

- إضافة الى ذلك يجب استخدام أجهزة و وسائل للتحكم بناصر البيئة الطبيعية المحيطة بالمخطوط كإستخدام أجهزة رفع نسبة الرطوبة في حالة الجو الجاف (رطوبة أقل من 40 درجة) وذلك برش رذاذ بخار الماء الدقيق جدا في الجو الخالي من الاملاح .

و في حالة إرتفاع نسبة الرطوبة تستخدم بعض المواد الكيماوية التي لها القدرة على إمتصاص بخار الماء الزائد و تقليل نسبة الرطوبة الى النسبة المطلوبة (من 55 الى 60 بالمئة) مثل مادة السيليكاجيل و كلوريد الكالسيوم وهذه المواد سهلة التجفيف بالتسخين و إستعمالها أكثر من مرة مع التجنب إستعمالها في حالة الرغبة في خفض نسبة الرطوبة في جو تخزين أفلام الميكروفيلم حيث تحدث تأثير ماسح للفلم .

إستخدام عوازل الرطوبة حول مباني حفظ المخطوطات ومن أهم هذه المواد رقائق البلاستيك و الألمنيوم و بعض أنواع الزجاج .

و كإجراء عام يمكن التحكم في درجة الحرارة و نسبة الرطوبة بإستخدام التكييف المركزي خاصة في المباني الحديثة .

ب- حماية المخطوط من الإضاءة :

كما أن للإضاءة أضرارافهناك طرق لتجنبها و ذلك ب:

-منع سقوط ضوء الشمس المباشر على المخطوطات سواء في المخزن أو قاعات المطالعة .

-تركيب ستائر غامقة اللون .

-إستخدام زجاج الأوبال لمنع مرورالإشعاعات الضوئية ذات الموجات القصيرة .

-تزويد المخازن بمصابيح إضاءة خاصة تمتص الأشعة .

صيانة المخطوطات:

ان الصيانة مفهوم علمي واسع يهدف الى احياء التراث القديم المخطوط، و ازالة بصمات الزمن التي ظهرت على المخطوط، وذلك لما يحمله هذا الموروث العلمي من اهمية تاريخية وعلمية وثقافية ولما له من قيمة اثرية، فما زال مجال صيانتها بكرا يحتاج للكثير من المهتمين و الباحثين و المتخصصين حتى تصل الصيانة الى المستوى المطلوب.

فكان هذا الملتقى الدولي الاول المنعقد يوم 23 و 24 من شهر افريل الأول من نوعه الذي اثرى هذا الموضوع الجديد في التناول على مستوى الجامعة، لما لهذه المنطقة من رصيد مهم من المخطوطات.

فالصيانة هنا لاتعني الترميم فقط ،لأنها مرحلة من مراحل متعددة يشملها مفهوم الصيانة الكاملة.

1- التعقيم :

و يعني القضاء على كل أشكال صور الحياة إن كانت خلية أو جرثومة أو بويضة أو يرقة و نحن بتعاملنا مع المخطوطات بما لها من ندرة علمية و قيمة أثرية و لطبيعة مكوناتها و ما تمثلها هذه المكونات من بيئة غذائية جيدة للعديد من الكائنات التي تنمو عليها و تتلفها وتحللها إذ يجب التدقيق في إختيار الطريقة الأنجع التي تقضي على هذه الكائنات و تمنع تضرر المخطوطات و هذا مايقصد بالتعقيم . و بصفة عامة يمكن أن نقول أن هناك طريقتين للتعقيم هما :

-إستخدام المبيدات الكيماوية .

-إستخدام الوسائل الطبيعية .

2-الترميم:

هو المرحلة ما قبل النهائية لصيانة المخطوط و يعني اعادة الاثر الى شكل أقرب ما يكون الى شكله الاصلي قبل اصابته، فالترميم يعني اصلاح لما اصابه من تشوهات شكلية كالتمزق و التفتت و انتشار الثقوب وفقدانأجزاء الهوامش او النصوص، و هذا الترميم يعتمد على الخبرة العلمية و

المهارة الفنية و اضافة اللمسة الجمالية للمخطوط المرمم ، وعلى اخصائي الصيانة و الترميم اتباع خطوات عالمية مسطرة له يجب ان يتبعها و اهمها:

-المحافظة على أثرية المخطوط.

-استخدام الخامات الطبيعية و البعد عن الخامات الصناعية قدر الامكان.

-مراعاة ان تكون عملية الترميم عملية عكسية اي يمكن فكها عند اللزوم، اي يمكن فك الترميم القديم و اعادته بما يتناسب و التطور العلمي.

و هذه المهنة من اصعب المهن التي ينبغي ان يتوفر في شاغلها الصبر و العلم و الخبرة ، هذا و تختلف طريقة ترميم الاوراق عن ترميم البرديات و الرقوق و الجلود لكننا سوف نحاول التركيز عن ترميم المخطوطات الورقية.

اذ يتركز التلف في الاوراق التي تحتاج الى ترميم في :

-التمزق

-الثقوب

-ضعف عام و تقصف

-ضياح او تاكل أجزاء كاملة

وكل واحدة من هذه لها طريقة في الاصلاح و الترميم.

1-اللاصق:

1-1 اللاصق النشوي:

و يحضر محلول من الجيلاتين و الصمغ باضافة كميات محددة و بطرق خاصة ، وهو قابل للتحلل و التلوث بالكائنات الدقيقة خاصة الفطريات.

1-2 لاصق الاثلين جيليكول:

وهو لاصق نموذجي يتوفر على كل المميزات التي تساعد على سلامة و استدامة الترميم.

1-3 عجينة لب الورق:

تتكون من لب الورق الجاهزة او من ورق نسيجي متخمر و تستخدم في ترميم الثقوب التي احتتها الحشرات.

1-3 الاوراق المصبوغة:

و تستخدم في استكمال الهوامش و الاجزاء الناقصة، حيث يتم صبغها بالصبغات الطبيعية كالشاي و البن ، على ان نحرص لنكسبها نفس لون المخطوط الاصلي.

- طريقة الترميم :

1- الترميم اليدوي : و يعني اصلاح التلف بيده بالاستعانة ببعض الادوات البسيطة كالمشط و الملقط و مما لاشك فيه الترميم اليدوي يكون اكثر دقة وامن في المحافظة على المخطوط المرمم.

2- الترميم الآلي :

و هو ترميم يستعمل في الحالات المستعصية و الشديدة الاصابة ، و هذا يرجع الى طبيعة المخطوط، و مما تحتاجه من دقة و هما نوعان من الترميم الآلي:

- الترميم الآلي باستخدام معلق لب الورق في الماء

- الترميم الآلي بالفرد بالرقائق.

- تجليد المخطوط:

كان المصحف الشريف اول كتاب يجلد حتى منتصف القرن الثاني الهجري، و انتقل التقليد بعد ذلك للبقية، وكانت جلدة الكتاب مزخرفة بمحالات عديدة¹

قد يبدو الحديث عن الترميم في الفترة المبكرة من تاريخ الكتاب العربي شيئا غريبا للوهلة الاولى ، ومع ذلك فمن الطبيعي جدا ان تجد صناعة ترميم الكتب في وقت لم تكن الطباعة قد عرفت فيه بعد، و لم يكن استبدال نسخة جديدة من الكتاب بنسخة بالية امرا هينا كما هو الحال في عصر الطباعة ، و قبل نهاية القرن الرابع كان الكتاب العربي قد بدأ بالتعرض للتلف سواء من كثرة الاستعمال او من عدم معرفتهم بأساليب حفظ الكتب و صيانتها ، وكان العرب من جانبهم قد

فكروا جدبا في الاساليب التي يمكنان يصلحوا بها بعض ما افسده الدهر ، و أن يعالجوا بها ما تحدته الحشرات وتقليب الايدي من الكتب من تمزق وتاكل 2 .

أما في ما يخص فهرسة المخطوطات فهي عملية إنشاء الفهارس أو الوصف الفني لأوعية المعلومات بهدف أن تكون تلك الاوعية في متناول المستفيد بأيسر الطرق و في اقل وقت ممكن وهي نوعان :

الفهرسة الوصفية و الفهرسة الموضوعية 3

أما بالنسبة للفهرسة الوصفية للمخطوط فهي تعني الوصف المادي و ذلك بأخذ مجموعة من البيانات كإسم المؤلف و عنوان المخطوط و مكان و إسم الناسخ و تاريخ النسخ و تعداد المخطوط ... إلخ هذه المعلومات التي تميز المخطوط عن بقية المواد

1-محمد فتحي عبد الهادي، الدليل الارشادي لفهرسة المخطوطات العربية، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، 2010، ص 20

2--محمد فتحي عبد الهادي، مرجع سابق، ص 23

3-محمد فتحي عبد الهادي ، نفس المرجع ،ص20

أما الفهرسة الموضوعية للمخطوط فهي وصف المحتوى الموضوعي وذلك بواسطة رؤوس الموضوعات أو ارقام التصنيف حتى يمكن تجميع كل المخطوطات التي تتناول نفس الموضوع بوضعها في مكان واحد 1

و الفهارس أنواع نذكر منها :

- الفهرس القاموسي .

- الفهرس المجزأ (فهرس المؤلف ، فهرس العنوان ، فهرس الموضوع المجائي أو المصنف) و هذا الفهرس هو الشائع بالنسبة للمخطوطات ، كما له أشكالاً كشكل كتاب أو ميكروفيلم أو شكل فهرس محوسب الإلكتروني 2

فالفهرسة شيء ذو أهمية كبيرة بالنسبة للمخطوطات و كما يقول أحمد شوقي بنين : "إن ما جمع حتى الآن و فهرس من المخطوطات العربية يقدره المختصون بثلاثة ملايين و إن ما هو غير مفهرس و ما لم يكتشف بعد بل لا يزال رهين محابس المكتبات العامة و الخاصة يفوق ما هو معروف و مفهرس و لا أدل على ذلك مما يكتشف و ما يصدر من فهارس المخطوطات من حين لآخر 3

هذا و ما بالكم و منطقتنا ثرية بالمخطوطات المهمة و منسية لم تلقى إهتماما فكان هذا المخبر خير مبادرة للحرص على حماية هذا الإرث و العمل على توعية الفكر للحفاظ عليه و التحقيق فيه للفت انتباه المهتمين و المنشغلين بالتراث .

و فهرسة المخطوط ليست كغيرها من المواد و المطبوعات .4، و هنا نحاول إعطاء الحقول و العناصر التي تتوفر عليها البطاقة الفهرسية للمخطوطات .

-مصادر الوصف : صفحة العنوان إن وجدت ، المقدمة ، الأختام (المتن) ، رأس النص ، أعلى النص ، النص نفسه ، و إذا لم تتوفر المعلومات في هذه المصادر فتؤخذ من :

نسخة أخرى من المخطوط ، طبعة منشورة ، المصادر المرجعية .

-حقول الوصف : و يتضمن الحقول التالية : العنوان و بيان المسؤولية ، النسخ ، الوصف المادي ، الاستهلال و الاختتام ، التبصرات .

-علامات الترقيم : (. -) بين كل حقل و البيانات المضافة المأخوذة من خارج المطبوع بين ^١ - معقوفتين و علامة إستفهام في حالة الشك

-الاختصارات

العنوان وبيان المسؤولية : العنوان كما وجد و بنفس الترتيب

بيان المسؤولية : ينسخ إسم المؤلف و حكمه الذي ظهر في المخطوط مع إستبعاد ألقاب التعظيم

النسخ : و تضمن مكان النسخ ، إسم الناسخ ، تاريخ النسخ.

1-محمد فتحي عبد الهادي،الدليلا الارشادي لفهرسة المخطوطات العربية، القاهرة، معهد المخطوطات العربية،2010،ص 20

2-نفس المرجع،ص22

3-عبد الستار الحلواجي، المخطوط العربي، القاهرة، مكتبة مصباح،د.ت.ص 258

4- محمد فتحي عبد الهادي، مرجع سابق،ص 52

الوصف المادي: كانت التعقيبات هي الطريقة الاولى لحفظ ترتيب الاوراق و لم تظهر الا بعد القرن الرابع هجري، و هناك الترقيم بالكراسات و الكراس به 8 الى 10 اوراق او يسجل في الكراسة في الورقة الاخيرة.ك1، ك2...

و يشتمل هذا الحقل على: عدد الاوراق او المجلدات، المادة، الايضاحات، الحجم، نوع الخط، لون المداد او الحبر.

الخاتمة :

هذا و باختصار جدا اهم ما يمكن قوله حول حماية و فهرسة المخطوط ،لأن هذا الوعاء صعب جدا في تداوله بين ايادي الباحثين و المطلعين، لكونها مادة حساسة للعوامل الطبيعية و معرضة لأخطار السرقة و الاهمال، زد على ذلك ندرتها ، مما يتطلب حمايتها.

قائمة المراجع:

- 1-عابد سليمان المشوخي، تجارو المخطوطات و طرق فحصها و تقييمها، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2011
- 2-عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، القاهرة، مكتبة مصباح، د.ت.
- 3-عبد العزيز بن محمد المسفر، المخطوط العربي و شئى من قضاياه، دار المريخ، الرياض، د.ت.
- 4-محمد فتحي عبد الهادي، الدليل الاؤشادي لفهرسة المخطوطات العربية، القاهرة، د.ن، 2010
- 5-محمد قاسم الشوم، منهجية البحث و علم المكتبات و تحقيق المخطوطات، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007